مجلة
قلم رصاص
نصف خطوة نحو الحقيقة

ثقافية شهرية منوعة تصدر عن موقع قلم رصاص | العدد 16 كانون 2 2018

تطالعون في هذا العدد :

« لنؤسس اتحاد قرّاء » بقلم فراس الهكّار

« سيد الناس » بقلم الشاعر فؤاد ديب

« الرقة ليست أولاً...» بقلم الكاتب إبراهيم الزيدي

الأديب والكاتب السوري تركي رمضان : كنت أبيع "البوظة" في الصيف لأشتري الكتب !

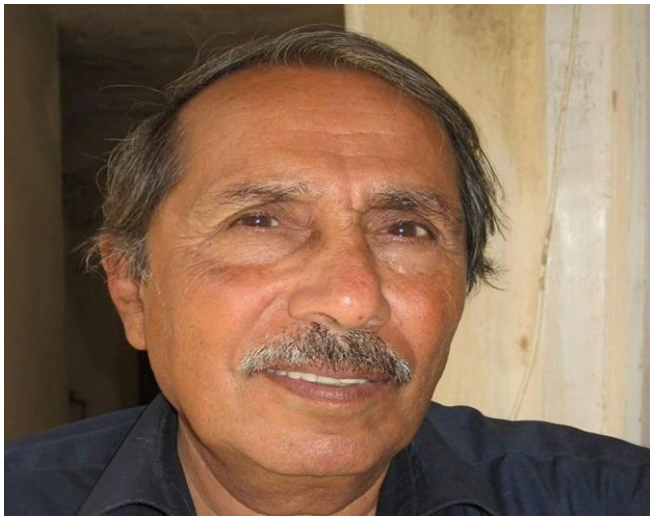

« ضد المكتبة » خليل صويلح يحرق الكتب الرديئة !

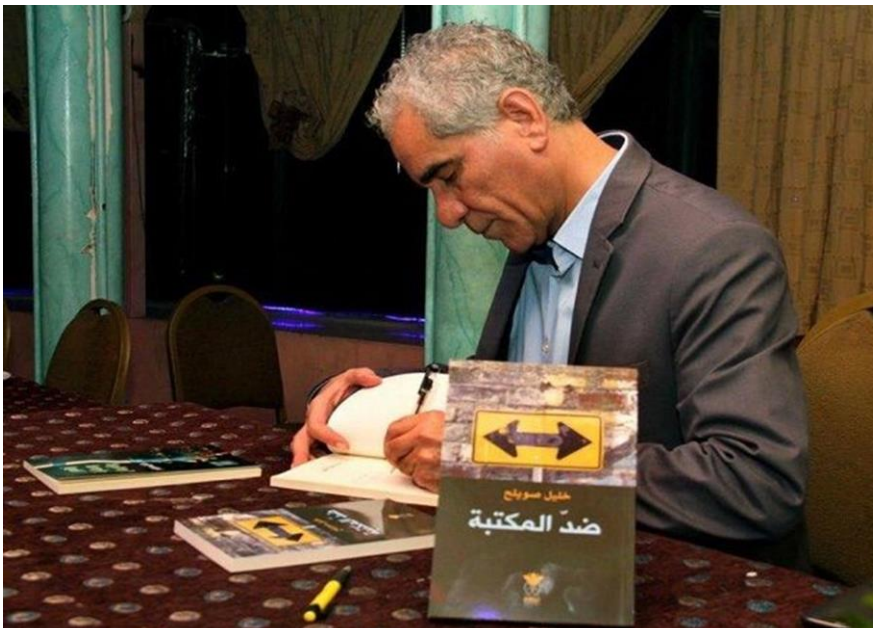

«كلام كبير» السخافة ماركة مسجلة

القتلُ ليس نقطة خلاف

« كأنو مسرح »

عبد السلام العجيلي وقصر ابن وردان

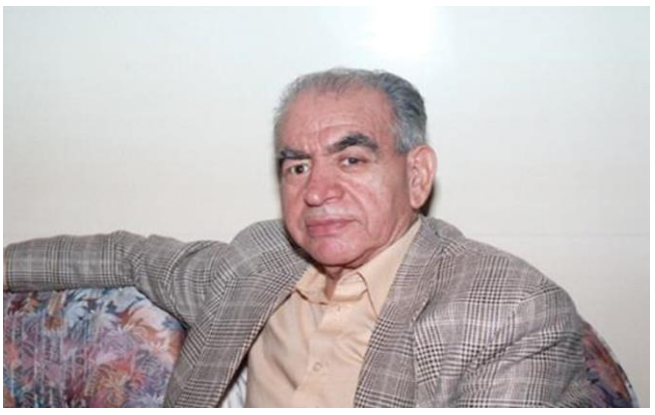

يوميات حرب طائفية (36)

الشعر ومصير العالم

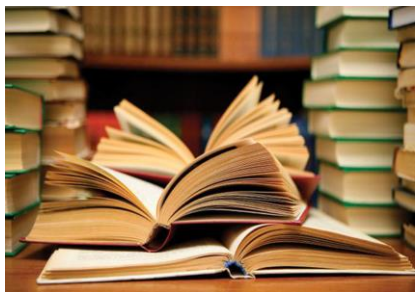

سيد الناس

❖ فؤاد ديب

أيامٌ غائمةُ الذكرى، مثل نصٍ كُتب على ورقٍ أصفرَ بخطٍ صغيرٍ، وتحاول قراءته دون نظارة لم تعتد بعد على أنها جزء من جسدك، ولا تستطيع أن تنساه في البيت لكنك لم تعتد على ذلك بعد، فكل ما ستقرؤه وتكتبه دون نظارة تساعدك على الرؤيا سيكون ضبابياً وغائماً، وقد يكون غائباً عنك مسافة عمرٍ وجيل، فما مر من أعوام لا تحسب بالأيام لكنها تحسب بالخوف فعندما تجد نفسك وحيداً في غرفة تطل على الثلج وأنت الحالم بأن يكون لك غرفة مستقلة منذ شبابك لهذا قضيت جلَّ مرحلة الشباب متسكعاً في أزقة مخيم ينتمي للهباء والهباء، فهو المتكئ على كتف دويلعة حيث أجمل نساء الأرض قاطبة تسير هناك على رصيف الغزل ومن الناحية الثانية وباتجاه المليحة يزاحم ويكاتف جرمانا بجدرانها، ويأخذ نصيبه من صداقات أهلها ومشاجرات الشباب عند الذهاب إلى امتحان الشهادة الإعدادية حيث كان يتربص شباب جرمانا بشباب المخيم كي يثبتوا للفتيات هناك بأنهم الذين يحمون حدود الصوت ومقاييس الجمال عند الله وشباب المخيم كانوا ينتظرونهم وهم ذاهبون إلى المدينة فلا طريق لهم ألا عبر عين المخيم الساهرة على طريق معمل الزيت والصابون "حيث التهمت أسنان الآلة كف عبد الملك وهو يتناول قطعة صابون من بين فكيها، وكان هذا المعمل قبل التأميم البعثي يسمى الإيتوني نسبة لأصحابه."

كانت مشاجرات وصراعات الشباب هناك بين كرٍ وفر ومن الطرف الآخر يطل المخيم على متنفسه ورئتيه وبنفس الوقت على (العكرتة) حيث الملعب وطريق المطار وأمسيات الصيف المشي عند الغروب على رصيف هذا الطريق الطويل (سيقول بعض خبيثي النية أنت تعتقد أنه طويل) حتى تكاد غوطة دمشق أن تغريك بالاختلاء بحبيبتك بين أشجارها، هكذا هي الغوطة تتستر وتستر عاشقين يسيران بصوتٍ خفيضٍ كي لا يوقظا خريف النهايات، لكن عشاق مخيمنا كانوا يذهبون ليلاً إلى مقام (سيد الناس) عند أطراف المخيم لممارسة طقوسِ عبادةٍ خاصةٍ بهم ولا يتقنها ولا يعتنقها غيرهم كي يتقربوا إلى الله عن طريق هذا الولي الصالح (وهو الراقد بأمان حتى قيام المخيم عند تخوم مرقده) يتقربون إليه ببعض القبل والصلاة وكلٌ منهما سجادة الآخر يتناوبانها، لم تكن قبلاً فقط بل أكثر من ذلك بكثير حتى يخيل إليك من شدة تقاربهم أنه سيتوسط (سيد الناس) بكل ما أوتي من كراماتٍ عند الله كي يغفر لهم ما تقدم من ذنبهم وما تأخر فقط كي يتركوا عظامه تستريح في مقامها الأزلي، لكن شاباً في مقتبل الخطيئة كان يحب الدمع فاختار شتاء الطريق حيث لا أحد يشاركه السؤال لغالب هلسا وكيف سقينا الفولاذ لنيكولاي أوستروفسكي إلا فتاةٌ تتأبط ذراعه تحت مطرٍ خفيفٍ وتهمس في أُذنه (زي الهوى يا حبيبي زي الهوى... وآه من الهوى يا حبيبي آه من الهوى... يا حبيبي) لعبد الحليم حافظ، وبينما هما يسيران هناك بعد الجسر تحت أعمدة الضوء المتباعدة، ملتصقان كتمثال صلصالٍ لظلٍ وحيدٍ ولا صوت حولهما إلا صوت سلاسل ثوبها مع كل خطوةٍ، وهي تخب كفرسٍ تحت الضوء (وهي كانت فرسا ليس كمثلها فرس) بينما هما كذلك كان يسيل خلفهما خطاً نحيلاً من الطين يخبر عن دخولهما معاً في غيمة حتى الذوبان، كانا عاشقين أخذتهما النشوة بالإثم كانا يعتقدان أنهما طيفاً لظلٍ واحدٍ وألا أحداً يراهما هناك فإذا بصوتٍ يأتيهما من سيارة عابرة (شُفْتاااااك) حينها جفلت ومن شدة خوفها التصقت به أكثر فتمنى أن تمر هذه السيارة مرة أخرى ويعيد جيفارا (وهو اسمه الحركي منذ أن كان فدائياً في جنوب لبنان مع الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين) صياحه أن رأيتك ... في طريق العودة كان فرحاً إذ أنه كان قريباً من جعلها تكتب طلب انتساب إلى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين لكنه وقف حائراً عند مفترق الصوت في داخله هل يكمل معها طريق الحب أم يكمل محاولته معها كي يجعلها تنتسب إلى الجبهة ليخرج في نفس اللحظة "بافل كورتشاغين" بطل رواية "كيف سقينا الفولاذ من عُبّه"، ويمسكه من أذنه كمعلم في مدارس وكالة الغوث ويؤنبه على نزوة لم يرتكبها إلا أنه حاول أن يفكر (لتكون عم تحاول تفكر هكذا قال له المحقق في فرع الخطيب عندما تم اعتقاله قبل سنوات قليلة في دمشق وهو معصوب العينين)، وليكتشف فيما بعد أنه أحمق أو حمااااااار، كما قال له جيفارا عندما التقاه ليل ذاك اليوم، وبادره بالسؤال وابتسامة خبيثة مثل ملصق الشيطان الأزرق المبتسم في الوتس آب): رحت على سيد الناس يا عرص مو؟.....يتبع.

■ شاعر فلسطيني

مبراة | لنؤسس اتحاد قُرّاء!

فراس الهكّار

يقول الأديب والكاتب المصري الراحل عباس محمود العقاد: "القراءة وحدها هي التي تُعطي الإنسان الواحد أكثر من حياة واحدة؛ لأنها تزيد هذه الحياة عمقًا، وإن كانت لا تطيلها بمقدار الحساب."

إذاً لا يختلف اثنان على أهمية القراءة، وفي ظل الجنون الذي يشهده العالم صارت القراءة ضرورة وحاجة مُلحة للإنسان، فهي أهم السبل اليوم لمواكبة ومعرفة ما يجري من حولنا في هذا العالم.

وهذا ما يؤكده الكاتب الفرنسي دانيال بناك بقوله: "المفارقة التي تتميز بها القراءة تكمن بمقدرتها على إبعادنا عن العالم حتى نتمكن من فهم معنى ما يدور من حولنا."

رغم أهمية القراءة الكبيرة إلا أنها ليست من أولويات المجتمع وليست من جوانب ثقافته رغم أنها أهمها على الإطلاق، هجر الجميع القراءة باستثناءات قليلة لا تُشكل قاعدة واسعة في مجتمعاتنا، في مقابل ذلك ازداد الإقبال على الكتابة، وتفشت هذه الظاهرة بشكل واسع بعد انتشار شبكات التواصل الاجتماعي، خاصة أنها تعتمد أساساً على الكتابة على اختلاف مستوياتها وجمالياتها ورداءتها.

إن النصوص الرديئة كالطاعون، وقد انتشرت بشكل كبير وأصابت الثقافة في مقتل، دون أن تجد من يقف في وجهها وتحولت في وقت قصير إلى ظاهرة عشوائية فتكت بكل مفاصل الأدب والصحافة وحتى النقد، ولعل اعتلال النقد من الأسباب الرئيسة التي ساهمت في تفشي هذه الظواهر، حيث صار أغلب النقاد يكرسون أسماءً وفق علاقاتهم الشخصية أو الافتراضية.

كذلك ساعد احتكار المؤسسات الرسمية لقطاعات الثقافة والأدب والصحافة وفق حسابات خاصة بتلك المؤسسات التي تُعمل مقص الرقيب في أي عمل مُقدم لها، على تمرد الناشئة التي صارت تبحث عن أماكن أخرى تكرس من خلالها وجودها وقد وجدت ضالتها في وسائل التواصل وجمهور المطبلين لها.

الكل يتحدثون عن الكتابة اليوم، قلة هم أولئك الذين تُشكل القراءة هاجساً لهم، ما فائدة القراءة إن لم يكن الكاتب في الأصل قارئاً؟

"أن تكتب يعني بالضرورة أن تكون قارئاً"، هذه هي القاعدة الأساس للكتابة، ولا يمكن لأي كاتب مهما كان مبدعاً أن يُبدع دون أن تكون القراءة هاجسه وهمه الأول، فلماذا لا يكون لدينا اتحادً للقراء؟ وتفادياً لعدوى طاعون الكتابة صرت أفكر جدياً بتغيير هوايتي من كاتب إلى قارئ، فهذه الأمة من أحوج الأمم إلى قرّاء، وليست تحتاج الكُتّاب فقد أتخمت بهم حتى صرنا نتعثر بهم في كل مكان! بل وأدعو اتحاد الكتاب للتفكير جدياً بإضافة جمعية يكون اسمها جمعية القراء إلى جمعياته، ولو كنت صاحب قرار لأسست اتحاد قراء.

■ رئيس التحرير

الرقة ليست أولاً، ونحن أيضاً !

مخيم نازحين في ريف محافظة الرقة

❖ إبراهيم الزيدي

تؤلمني الشعارات التي لا رصيد لها، والمواقف التي لا رصيد لها، والأفراح، والأحزان، والعنتريات، لا بل حتى الكلام؛ العابر منه، والمقيم ، سواء كان على صفحة الفيس بوك، أو غيرها .. وقد كثرت خلال هذه السنة التي أردفت مآسيها على كاهل الرقاويين، الأحاديث، أو (السوالف) عن الرقة ، أقول سوالف، لأنها في الحقيقة كلها مجرد "سوالف" !! فقد تحولت تلك المدينة إلى بيت عزاء في مواقع التواصل الاجتماعي، يتواجد فيه (النازحون واللاجئون) من أبنائها (في الداخل والخارج) يتحدثون عن مآثرها حيناً، وأحياناً عما يحدث فيها، أما ما فاتنا أن نفعله، وما يجب فعله، فهذا يدخل في إطار الفعل، أو التحضير له، ونحن لسنا بصدده، ليس لأنه غير ضروري، بل لأننا طوال عقود ونحن ننتظر من يصنع لنا غدنا!! ثمة خبر هنا .. وآخر هناك .. عن ثلة من الانتهازيين يحاولون تسلق مأساتها، ولا يلبث أن يدب بينهم الخلاف على تقاسم الكعكة وهي ما زالت في الفرن !! فتبوء محاولاتهم بالفشل، ويفضحون بعضهم على مواقع التواصل.

الرقة ليست أولاً، ونحن أيضاً. ولو أننا كنّا أولاً، لكانت الرقة أيضاً أولاً، فالبيوت بأهلها كما يقولون، وكذلك المدن.

لم نسأل أنفسنا ماذا فعلنا للرقة، ولم نهرب إلى الأمام، ونسأل أنفسنا ماذا يجب أن نفعل للرقة ؟ وها قد توزعنا على كل قارات كوكب الأرض، وما زلنا نتعامل مع بعضنا بنفس العقلية التي كانت سائدة قبل عام 2011 !! ما زلنا (إذا اختلفنا نختلف مع بعضنا، وإذا اتفقنا نتفق على بعضنا) فقبل ذلك التاريخ كنّا كما يقول أنس العباس (منذ البداية، اعتَبرَ الإنسان كلَّ فوضى لا يقدر على تغييرها، نظاماً)، ونحن لم نحاول أبدا أن نغير أنظمة الفوضى التي اجتاحت حياتنا قبل عام 2011، لا بل - مع الأسف – ساهمنا في ترسيخها، وما زالت ثقافة تلك الفوضى تتحكم بعقليتنا، وتعاملنا مع بعضنا البعض، ومع الآخرين إلى الآن!!

بكل الأحوال، البكاء والتباكي لا يصنع أوطاناً، ولا يعيدها إذا اغتصبت، والمجاملات لا تصنع علاقات اجتماعية صحية، والمنشورات، والمقالات، واللايكات، والتعليقات، هي حالة إعلامية، وضرورية، وهي بالتأكيد ليست جعجعة، ولكن طحينها وحده لا يصنع خبزاً .

الرقة موجودة، كانت، وما زالت، وستبقى، أتمنى أن يوازي هذا الإعلام الذي يقوم به أبناؤها، حركة عملية، تأخذ باعتبارها، أن الرقة هي رقة أهلها أولاً، وعليهم تقع مسؤولية مستقبلها.

■ شاعروكاتب سوري

القتلُ ليس نقطة خلاف وجدل !

❖ ظلال عثمان

إن أكثر ما يحزّ بالنفس ويؤلمها، تساقط الرموز والأمثلة الجميلة من النخبة، وكأن الجمال والفن أيضاً لا يمكن أن يكونا في وضعية الحياد، إذ لا يمكن للفن أن يدّعي عزلته وحريته من الانتماء أو الأخلاق أو الاختيار.

قد تحدث مجزرة مؤلمة وبالطبع ستكون مزدحمة بالقصص والنهايات المأساوية، وقد تعجّ الكاميرات بصور الدم المتوحشة وهي تنقل لقطات مفزعة لأجساد أطفال طحنتهم الحرب الظالمة، أو دهستهم أثقالها تحت الأبنية المنهارة أو الوحول السميكة... إلاّ أن تصريحاً واحداً لمبدع جماهيري ما، تجاه هذه المجزرة، موافقته عليها، أو تأييده، أو رفضه، قد يُحدث ضجة مهولة أكثر بما لا يقاس من المجزرة وتفاصيلها نفسها.

فما يندرج ويصح على أزمنة السكون، حيث يتمتع الفنان أو المبدع بمطلق حريته، إذ لا يكون مطالباً سوى بالانتماء لنفسه ولإبداعه، وليس مطلوباً منه أن يختار بين خير أو شر، بين موت أو حياة، عطاؤه وحسب خير مطلق، وانتماؤه هو نتاج ما يقدمه. لا يمكن أن يصح هذا في الأوقات العصيبة، وفي هزات التغيير العنيفة، حيث تختلط المفاهيم وتتشابك، وتلتصق السماء بكل سموها بالأرض الموحلة، وتوضع الانتماءات كافة في عهدة الاختبار والاختيار، لا يمكن أن يُغفر موقف فنان أو مبدع نخبوي لانحيازه للشر، ولا أن تنفصل قصيدته الرائعة أو روايته المبدعة أو ألحانه العظيمة عن اختياره وانحيازه في هذه اللحظة؛ إن مظلوماً واحداً كان مغرماً به يتأثر بألحانه الجميلة، أو تجيش عواطفه لقصيدته المرهفة، سيلعنه حين يراه يؤيد الظلم الذي مُني به، ليسقط كل النتاج الأدبي الجميل والفن وكأن لا قيمة لكل تاريخه.

هذا وستجرف عنفة التاريخ المتحركة وآلام الناس وأنهار الدماء حتى النخب العظيمة ولن تتركها دون محاسبة عن كل ما كان، يبدو خيراً مطلقاً ومُجازاً وجميلاً ومبدعاً فيما مضى، ثم تبين أن هذا الخير المطلق والجمال والفن العظيم والإبداع كان جزءاً لا يتجزأ من كامل البنية التي على وشك الانهيار والسقوط على الرؤوس التي كانت ترفعها وتؤمن بها.

قتل الإنسان، حتى لو كان إنساناً واحداً، بغير حق، وتحت أي حجة كانت، أو الانحياز لهذا القتل، جريمةٌ لا تغتفر. فقتل طفل وهو نائم في سريره جريمة لا تغتفر، كيف إن كان هذا القتل يبيد شعباً بمعظمه؟!

ولذلك لنا أن نتساءل كيف أصبح هذا القتل، هذا الشر المطلق الذي لا خير فيه نقطة خلاف وجدل ونسبية؟!

وكيف لا يتصدع قلب الشاعر الحساس أو أصابع الموسيقي المرهفة، أو روح الفنان السامية لهذا الشر؟!

«ضد المكتبة» خليل صويلح يُضرم النار في الكتب الرديئة!

❖ فراس الهكّار

«هناك كتب أقرب ما تكون إلى ذبيحة لغوية بأحشاء مكشوفة ورائحة عطنة، تدعوك إلى النفور من محتوياتها، ورائحة أفكارها بمجرد تصفحها على عجل، وكتب تجذبك إليها من السطر الأول». أورد هذا الأديب السوري خليل صويلح في أحدث إصداراته «ضد المكتبة» الصادر عن دار (نينوى. دمشق 2017).

شكلت المكتبة عبئاً ثقيلاً على صويلح الذي كان ينقلها في العاصمة دمشق من منزل مستأجر إلى آخر، إلا أن ضيق باب آخر المنازل التي استقر فيها الأديب حال دون دخولها إليه، ليتركها هدية مودعة لدى سائق شاحنة. كانت المكتبة تتعرض بعد كل عملية انتقال إلى تعزيل يُفضي إلى الاستغناء عن الكتب الفائضة عن الحاجة، «ليست المكتبة إذاً، بحجمها، إنما في نوعية محتوياتها».

يطرح صويلح فكرة «اللا مكتبة»، للتخلص من عبء المكتبة التقليدية برفوفها وخشبها الثقيل وصعوبة نقلها، وشيخوختها وتخليصها مما علق بها من كتب طفيلية، «أليس هناك شيخوخة للمكتبة؟ الشيخوخة لا تعني الحكمة على الدوام بالطبع»، ويتساءل: «ما حاجتنا إلى كتب صارت متوفرة في "دكان غوغل" المفتوح ليلاً نهاراً؟».

عدوى الكتابة

يتقفى صويلح في «ضد المكتبة» مواطن الخلل الذي خلفته "حمى" التواصل الاجتماعي بالوسط الثقافي، وحولت بالعدوى. أغلب من لم يمحوا أميتهم بعد إلى "كُتّاب" مُتجندين بـ «لايكات» الفيسبوك والمجاملات العابرة، مُشخصاً حالة الواقع الأدبي الذي أصابت أطرافه "الغرغرينا"، وصار بتره ضرورة مُلحة في محاولة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه، فيطرح صويلح سؤاله: «ماذا بخصوص حالات الجذام التي غزت شبكة الأنترنت بوصفها شعراً، ورأى أصحابها أنها تستحق الطباعة ورقياً، كضرب من تعميم البلاهة، ألا ينبغي تنظيف المكتبة من هذه الطحالب والبثور ووحيدات الخلية؟».

لبس أغلب رواد شبكات التواصل الاجتماعي لبوس الثقافة، وقدموا أنفسهم لجمهورهم الافتراضي على أنهم مثقفون وأدباء لا يُشق لهم غبار، عبر نشر اقتباسات لكُتّاب وأدباء مشهورين لهم مكانتهم دون يقرأوا نتاجات هؤلاء الكُتّاب، فلا وقت لديهم للقراءة وساعدتهم التكنولوجيا الرقمية على "نسخ ولصق" ما تيسر لهم بين الحين والآخر، مُعتمدين على جهل مجتمعهم الافتراضي بحقيقة ضحالتهم الفكرية والأدبية...«إن التقاط الشذرات العرجاء من المواقع الإلكترونية كدليل على المخزون المعرفي لصحابها لا يصنع قارئاً أصيلاً، إذا لم يكن القارئ نهماً في الأصل. أن تضع عبارة لفيلسوف مثل نيتشه على حائطك الافتراضي، لا يعني أنك تمتلك ثقل شاربيه في العدمية. وأن تختزل "دون كيخوته" في فكرة محاربة طواحين الهواء، وفقاً لأقوال سطحية متداولة، يتطلب أن تعرف عن كثب كاتباً عبقرياً اسمه الكامل "ميغيل دي سرفانتس"».

القراءة أولاً

يدعو صويلح إلى إعادة توجيه دفة القراءة وضبط البوصلة باتجاه المسار الصحيح من خلال قراءات مقتضبة لأعمال أدبية عالمية وعربية شكلت نقلة نوعية وما زالت حتى اللحظة أرضية صلبة يجب أن ينطلق منها الإنسان أولاً كقارئ قبل أن يمخر عباب الكتابة بأدوات بدائية ولغة خشبية كارثية..«هناك أيضاً، كارثة الكتب التي تصلنا كإهداءات بلاغية مفزعة لفرط سطوتها الإنشائية، من كتبة هواة خصوصاً، كتّاب اتوا الكتابة من دون عدة حراثة الكلمات وشحذها بحجر صوان البلاغة، أتوا بوهم الموهبة، وشجاعة الجهل، والشفرات المثلمة في أداء المخيلة، وبالطبع أخطاء النحو والصرف. أولئك الذين أثنى معلمو اللغة العربية عليهم يوماً بعلامة مرحى بعد كتابة موضوع إنشاء عن عيد الشجرة...».

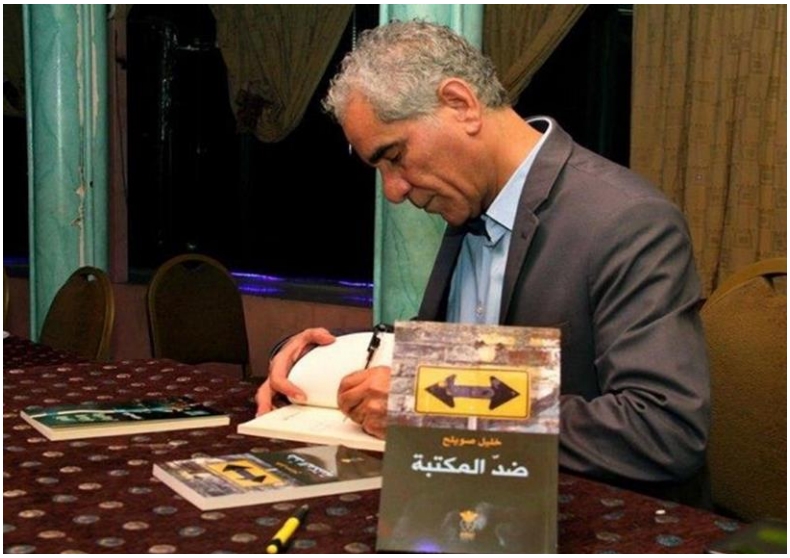

إن الكتابة ليست مجرد رص الحروف إلى جوار بعضها، وتقديمها للقارئ في كتاب تحت مُسمى شعر أو رواية أو مجموعة قصصية بل يرى صاحب «وراق الحب» أن «الكتابة هي الإزميل السحري الذي يحول صخور البازلت الصلبة إلى طيور وتماثيل ناطقة». ولا يُغفل أن «بعض النصوص الإبداعية أو ما يتهيأ لأصحابها أنها كذلك تشبه ترجمة غوغل لعبارة ما»، متسائلاً: «ماذا نفعل بكتب مسحوبة العصب، وبأضراس غير صالحة لطحن قمح الكتابة؟».

نقد مزاجي

ليست الكتابة "طبخة" في "بوفيه" مغلق، يُقدمها الكاتب وفق مقادير معينة تلاءم أذواق النقاد، إنما هي فسحة يحلق منها الكاتب بأفكاره وقناعاته عالياً محاولاً التأثير والتغيير نحو الأفضل، يقول صويلح: «أثناء الكتابة لا أفكر بأن أضع ملعقة فلفل هنا، وملعقة عسل هناك. لست طاهياً حسب الطلب». يذر أغلب من امتهنوا النقد مصطلحات فضفاضة وغير مفهومة في عيون القراء، ويُقدمون الكثب الغثة على أنها فتحاً في عالم الأدب والفكر، وازداد ذلك ازدهار العلاقات الافتراضية، يقول صويلح: « تلك المهنة البائسة التي احتكرها بعض النقاد في تقديم كتب الشاعرات. على نحو خاص. ذلك الاطناب بالمديح بما لا نجده فعلياً في متن النصوص»، ويتساءل، « شاعرات ونصوص أم ذئاب منفردة وفرائس؟».

يوجه بعض النقاد سهامهم نحو الكتب التي يرون فيها مساساً بمعتقدات مجتمعاتهم بغض النظر عن صلاحية تلك المعتقدات أو إيمانهم بها، أو وفق قوانين مؤسساتهم، إلا أنهم ينكبون على قراءة تلك الكتب أكثر من مرة، «الذين يحاكمون كتاباً ما بتهمة خدش الحياء العام هم أكثر من يقرأ هذا الكتاب بلذة قصوى». بعد قراءة «ضد المكتبة» يصبح لدى القارئ تصوراً جيداً عن نوع المكتبة التي يُمكن أن يقتنيها، مكتبة حقيقية وليست جزءاً من "البريستيج" والديكور المنزلي، يجمع كتبها بشكل عشوائي ولا يقرأ معظمها، يختم صويلح كتابه الجديد بـ «أن تكون ضد المكتبة فأنت تحتاج إلى مكتبة أخرى بخطط ومتاهات لا نهائية».

الأديب السوري تركي رمضان : كنت أبيع "البوظة" لأشتري الكتب !

❖ حوار : رئيس التحرير

تركي رمضان، أديب وكاتب وصحفي سوري من محافظة الرقة، كتب المقالة والقصة القصيرة والرواية، ورغم أن نتاجه الأدبي اقتصر على رواية يتيمة هي «برج لينا»، إلا أنها أرخت لحقبة هامة من تاريخ الرقة ورصدت أعمال بناء سد الفرات وتغيير مجرى النهر وما ترافق مع ذلك من مآسي. عمل في المسرح، وأخرج العديد من المسرحيات لصالح وزارة الثقافة السورية عام 1974، ونشر في العديد من الصحف والمجلات السورية والعربية، ورغم كثرة المخطوطات التي أنجزها رمضان إلا أنه لم يتمكن من طباعة إحداها لقسوة الظروف المادية، باستثناء روايته آنفة الذكر التي صدرت عام 2004 عن وزارة الثقافة السورية، كان الأديب تركي رمضان يملك مكتبة تحوي أكثر من ثلاثة آلاف كتاب، دُمرت بالكامل في ظل مآسي الرقة والخوف من الغربان السود، مجلة «قلم رصاص» الثقافية حاورت الأديب تركي رمضان، وكان هذا الحديث عن نشوء مكتبته الضخمة ومصيرها المأساوي.

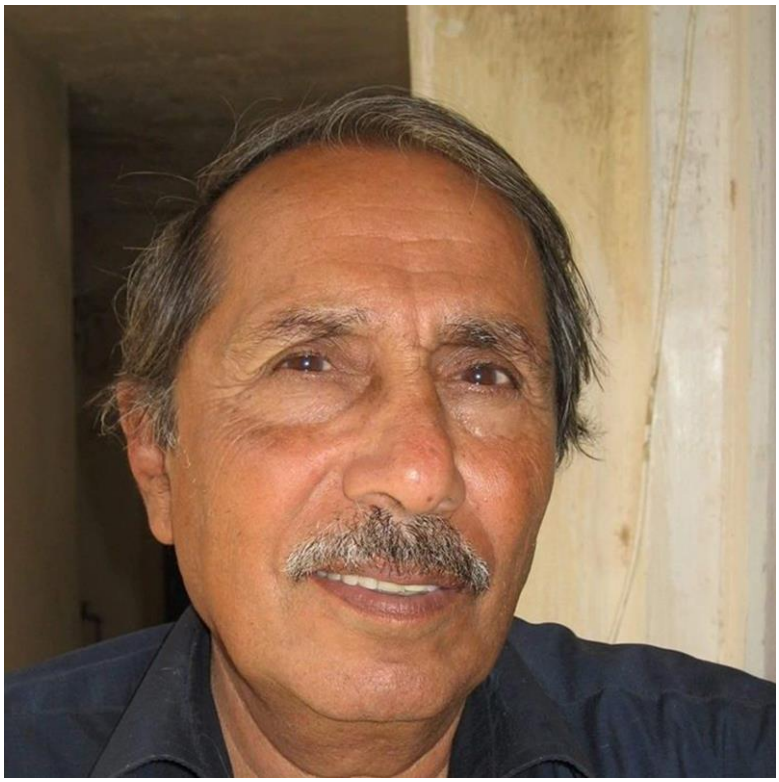

■ ماذا تخبرنا عن البدايات وخوضك غمار الكتابة؟

كانت البداية حين حاولت كتابة قصة قصيرة، ولم تكن أي مطبوعات آنذاك سوى نشرة تصدر عن المحافظة، أعطيتهم القصة، ونشرت في النشرة، كنت حينها في الصف الأول الثانوي، وكانت عن فلسطين بعنوان: "فدائي أسير"، ثم بدأت النشر في جريدة الجماهير الحلبية أربع أو خمس قصص وكانت فيها صفحة أدبية.

■ كيف نشأت علاقتك مع الكتاب؟

وعدتني أمي أن تأخذني في زيارة إلى مدينة حلب إذا نجحت في الشهادة الابتدائية، وبالفعل حصل ذلك، حين دخلت البوسطة حلب أدهشتني بأبنيتها العالية والسيارات الكثيرة، كنت قد وفرت في الرقة حوالي عشر ليرات لمصروفي في حلب، وهناك كنت أنحدر إلى وسط المدينة بالباص، حيث تعرفت إلى السينما حينها، وصرت أقضي يومي متنقلاً بين سينما وأخرى، أشتري سندويشة فلافل بثلاثة فرنكات، ثم أشتريت أكثر من ثلاثين كتاباً بكل ما بقي لدي من مصروفي، وحملتها بصندوق إلى البيت ثم إلى الرقة. منذ حصلت على الكتب لم أغادر فراشي إلا للضروريات، صرت أقرأ طوال اليوم، وأمي ترجوني حتى أتناول الطعام، وصارت تقرأ فوق رأسي بعض الصور القصار، خافت علي من الجنون، بينما كان أخي الأكبر سعيداً بما صرت إليه.

أنهيت قراءة الكتب بشهر وكانت أول مكتبة لي ضمت قصصاً وروايات عالمية ترجمة ليلى بعلبكي، وقصص الصحابة خالد بن الوليد وسعد بن أبي وقاص وقصص الفتوحات..إلخ .

■ ما مرد هذا التعلق بالقراءة؟

نشأنا منذ سنوات طفولتنا الأولى على قراءة قصص محمد تيمور، بتوجيه من أشقائنا الكبار، وفي الصيف كنا نبيع البوظة في الشارع وما نجنيه يذهب لشراء الكتب، أذكر منها "تغريبة بني هلال" التي كانت تباع على الرصيف، يشتري الصديق الأديب محمد جاسم الحميدي جزءاً وأشتري آخر، وهكذا كنا نتبادل الكتب. وتطور معنا الأمر إلى قراءة كتب إخوتنا الكبار وعرفنا سارتر ورواية الذباب، وكامو والطاعون في الأول الاعدادي، إلى أن افتتح شاب مكتبياً لتأجير الكتب، كان كل منا يستأجر كتاباً ونتبادلها بعد القراءة، وفي الثانوي بدأنا نشتري الكتب المستعملة ونُعيرونستعير.

وحين عملت في قطاع المعدات الفنية في مؤسسة سد الفرات بمدينة الطبقة، تم إحداث مركز ثقافي، مبنى صغير فيه بعض الكتب، وضعوني به للإشراف على إعارة الكتب للعمال، إذ حدث حينها أن حضر المدير العام لمؤسسة سد الفرات صبحي كحالة (رحمه الله) أمسية أدبية قرأت فيها قصة عن السد ونالت إعجابه .

كنت أقضي جل وقتي بالقراءة حتى أجد أن الليل قد انتصف ولا زلت أقرا فأنام فوق طاولة المطالعة، متوسداً الكتب حتى أستيقظ على صوت عامل جاء لتوقيع براءة ذمة بأنه لم يستعر كتاباً من المكتبة، ونشطنا العمل الثقافي وكنا نقيم أمسيات أدبية لشعراء وقصاصيين من دمشق ومن حلب والرقة ومن مختلف المحافظات، وبدأت حينها أكتب قصصاً عن سد الفرات وأثمر مشروعي الكتابي رواية برج لينا.

■ لا يُحبذ أغلب المثقفين والكتاب إعارة الكتب من مكتباتهم، هل أنت منهم؟

لم أكن كذلك في بادئ الأمر، لكن مع كل عملية شراء جديدة كنت أسافر من الطبقة إلى حلب، وأمر إلى مكتبة لبيع الكتب لاسيما الروايات الصادرة حديثاً. وكان صاحبها رجلاً يهتم بالأدب وبأحدث الإصدارات يأتي بها من بيروت، وبدات مكتبتي تكبر وتتنوع..لكن الأصدقاء يستعيرون الكتب، والواحد منهم يستعير عدة كتب دفعة واحدة ولا يعيدها، ومنهم من صار يترقب حضوري إلى الرقة ليأتي ويحمل مجموعة من الكتب كمراجع يحتاجها لبحث أو محاضرة، فتذهب الكتب ولا تعود وكأنها قطعة تنتزع مني حتى قررت أن لا أعير أكثر من كتاب، تصور أحدهم صار باحثاً وليس لديه أي كتاب في بيته.

■ ماذا تخبرنا عن رحلتك إلى جمهورية مصر العربية وما حدث معك؟

كنت أشتري الكتب من المعارض ومن تصفيات المكتبات أو من شخص قرر بيع مكتبته، وكان الأستاذ آرسين قيومجيان صاحب مكتبة في الرقة قرب الفردوس، وهو شاب مثقف يجيد اختيار الإصدارات الحديثة، وكذلك عدنان الراوي صاحب مكتبة الفردوس قرب الجامع، وهنا أصبح لدي اهتمام بالكتب الدينية، وحين زرت مصر كان هاجسي الكتب وملأت حقيبتان

كانتا معي بالكتب من مكتبة الفجالة والبسطات على سور الازبكية لكنهم لم يخرجوني من مطار القاهرة بحجة أنها للتجارة، لكن مسؤول الجمارك تفقد الكتب وحين لاحظ أن لا نسختين من كتاب واحد، ولاحظ نوعيتها الثقافية أطلق سراحي، وهو يضحك معلقاً: "في سورية ما فيش كتب؟"، قلت: "نعم ولكن لا يوجد كُتّاب كنجيب محفوظ"، وكنت أحمل جميع مؤلفاته وعددها ثمانين مولفاً. أما في مطار دمشق الدولي فقد طلب مني موظف الجمارك أن أدع كتبي حتى أحضر له موافقة وزارة الاعلام فاشتكيت لضابط المطار الذي تفقد الكتب، واحتفظ لنفسه بكتاب "ديانا أميرة الأميرات" بينما أخذ موظف الجمارك كتاب في الحديث للأمام النووي، وخرجت من المطار سعيداً بإحمالي النفيسة.

- **ما مصير المكتبة بعد أن دُمرت الرقة؟**

كانت مكتبتي عبارة عن رفوف حديدية كتلك التي تستخدم في البقاليات، وبقيت هكذا حتى تقاعدت مبكراً، فاشتريت لها رفوفاً خشبية مخصصاً لها غرفة وطاولة وكمبيوتر، وكنت أمضي فيها أغلب وقتي، أقرأ أو أكتب، يزورني بعض الأصدقاء ينتقدون بعض الكتب ونتناقش، يستعير أحدهم كتاباً، ويسرق آخر كتاباً يدسه تحت قميصه.

دخلت الفصائل المسلحة الرقة وأغلبها إسلاموي، كانوا يحضر بعضهم ويتوقف أمام الكتب ويبدو أن أحدهم كان "فهمان"، قال لي: "مكتبتك شيوعية"، استعنت حينها بجار وصديق لي، وأخرجت كافة الكتب الماركسية، المختارات وماركس وكتب الإلحاد وعددها أكثر من ستين كتاباً، اشتراها الصديق المهندس في مؤسسة المياه جوزيف عيسى بالشيلة، الكتاب بعشرين ليرة أي بأقل من عشرين بالمئة من قيمته، لكن كان خلاصاً مؤقتاً حيث آل الأمر في الرقة لتنظيم "داعش"، وبدأ حرق المكتبات في الرقة، وصرت أريد الخلاص من المكتبة، بعت الكثير منها للصديق المهندس إبراهيم العلوش، لأني إضافة للخوف كنت أعاني من أزمة مالية خانقة إذ توقفت راتب التقاعدي، ولولا وقوف أختي معي كنت ألقيت بلا طعام أو خبز.

جاءني أبو بلال صاحب إحدى مكتبات الرقة، واتفقنا على بيعه المكتبة التي صارت مصيبة بالنسبة لي، أعطاني قليلاً من المال كدفعة أولى على أن يسدد لي الباقي من البيع، وكنت كلما طالبته يتعلل بأن "الدواعش" يأخذون منه الكتب بالمجان، وقرر افتتاح محل جديد لبيع الكتب قرب جامع الشراكسة، وحين تم تجهيز المحل كانت الطائرة تقصف فرن الكعك في السوق، ثم عاجلته بصاروخ قتله وابن له ونازح كان يساعده واحترقت المكتبة، وخسرت ما كنت أعده لشيخوختي، وخسرت أجمل ما في حياتي، الكتب عشقي منذ الطفولة للكتب، ويبقى أعز مكان في الدنى سرج سابح وخير جليس في الزمان كتاب. كما قال المتنبي.

- **ماذا تود أن تقول أخيراً؟**

عندما توظفت في المكتبة بداية السبعينات، سكن معي صديق حلبي، كان يكتب القصة، ويأتي بالكتب ونقرأ معاً، كان مثقفاً ومرتاح مادياً، يشتري كتباً يوصي خلفها من بيروت، كان سليم أحمد شاوي وهذا اسمه رحمه الله مثقفاً مدهشاً، توفي شاباً، تصور كان المسجل بجانبه يسمعني معزوفة لعبد الوهاب، ثم يسمعني مصدرها الإسباني، كان يهوى تقصي سرقات الملحنين العرب، ويكتشف سرقات أدبية لكتاب كبار في العالم العربي...إلا أن جهل الجمهور العربي وقلة قراءاته تشجع الكتاب والأدباء وحتى الموسيقيين على الاستفادة من أدب الآخرين، وأمام هذه الحقائق التي كان صديقي يوثقها ويطلعني عليها خلال سهراتنا التي نقضيها بالقراءة عشقت الأدب أكثر فأكثر.

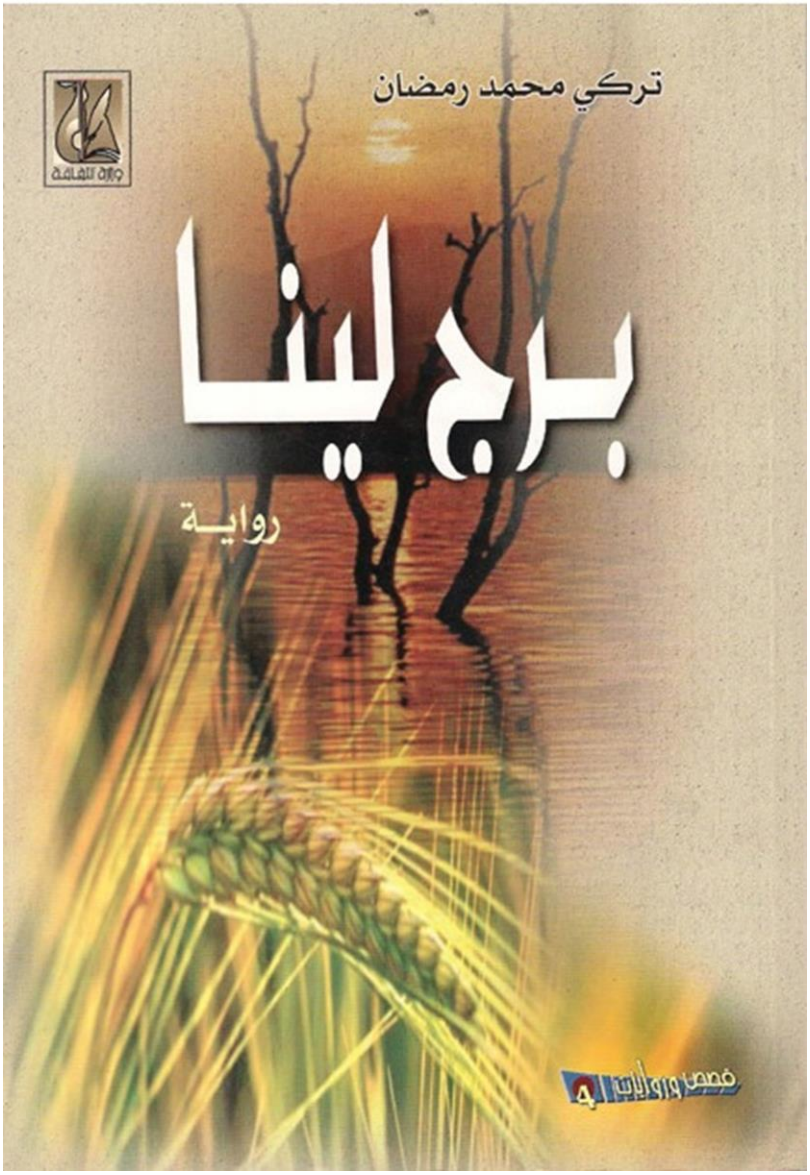

"جهل الجمهور وقلة قراءاته وضعف الترجمة ساهم في زيادة السرقات الأدبية"

"الأدب العربي مليء بالسرقات من الأدب العالمي وكذلك الموسيقى"

قال لي أحد المسلحين الإسلاميين الذين دخلوا الرقة: "تبدو مكتبتك ماركسية"

"تسلل الخوف إلي وصرت أفكر بالخلاص منها"

- قلم رصاص

العالم يعلن عن مصيره في أعمال الشعراء

❖ عقبة الصفدي

يممي بالريح وجهي، لأكون هناك طاهراً من قيد الغبار، أنا تفعيلةٌ تطاردها السحب، يغسلها الضوء، ألبسيني جسد اللغة، لا أريد أن أدخل مضيق الموت عارياً، وحيداً، وضعيفاً، لأني أحمل جنون الطفولة وحلمها، غضب الرجال، وصبرهم، يقين الأنثى وحنوها، تعاليم أمي وصوتها، أنا أحمل الوجود بين قافيتين وتفعيلتين... هم الشعراء يتكئون على أعماقهم، يفتحون طريقاً، ويحلقون في فضاء الكناية، لينظروا من أبعد نقطة إلى مجازٍ يتسع لكل التناقضات البشرية، فيصنعون النبوءة دون أن ينتظرونها، لذا يقتلهم من يأخذ بظاهر الآية القرآنية الكريمة (والشعراء يتبعهم الغاوون)، لأنه يُغفل تاريخاً فتح فيه الشاعر الفرنسي فولتير الأفق أمام المضطهدين اجتماعياً وسياسياً ودينياً، فكان من المبشرين بقيام إحدى أهم ثورات التاريخ"الثورة الفرنسية"، ولم يتأخر كثيراً إله الشعر أبولو عن إرسال جنده المسخرين لنصرة الفقراء والمضطهدين، فكان عام 1799 ذوبان الثلج الروسي أمام حر الأفارقة، وولادة الشاعر الأفريقي الروسي ألكسيندر بوشكين، الذي لم يشق طريقه إلى الحياة فحسب وإنما أيضاً إلى بلاط القياصرة، لكن ليس متكسباً مادحاً، وإنما منتصراً للفقراء والمظلومين الروس، ولقصة حبٍ جعلته شهيداً في نهاية المطاف، فرثاه الشاعر العراقي عبد الرزاق عبد الواحد"نهر العراق الثالث"، بعد قرنٍ من الزمن قائلاً:

بوشكين يا لؤلؤة روسيا السوداء

يا أغنية الحب الأولى

يا أغنية الغضب الأولى

ملعونٌ صوتي إن لم يَبلغك إلى مخبأ جرحك

ذابت ثلوج روسيا وولدت ألفاً، ودماء

بوشكين تسري في عروق الفقراء والعشاق، ويورث حرها الأفريقي غضب التجربة وعمقها لشاعر الحب والموت والنبوءة، الإسباني غارثيا لوركا، الذي بقي يلهج بالحب وتحرر الإنسان حتى لحظاته الأخيرة إبان الحرب الأهلية الإسبانية عام 1936، إذ تلا على مسامع قاتليه من أتباع الجنرال فرانثيسكو فرانكو قوله:

ما الإنسان دون حرية يا ماريانا؟

قولي لي كيف أستطيع أن أحبك إذا لم أكن حراً؟

كيف أهبك قلبي إذا لم يكن ملكي؟

فيجيبه عن أسئلته في الشرق الشاعر التركي ناظم حكمت الذي يختصر الأديب السوري حنا مينه شهقته الإنسانية في بحر المنافي قائلاً:"يكفي أن نقول ناظم حكمت حتى نقول الإنسان"، ناظم حكمت الذي عاش عمره بين ضفتين، ضفة "السجن التركي" وضفة "المنفى الروسي"، وحمل نهر الوطن والإنسان على كتفيه حتى مات عام 1963، لا يحمل سوى جنسية قصائده ولغته، إذ أسقطت الجنسية عنه من قبل السلطات

التركية، فلو كان أتباعه غاوين فعلاً، لعاش آمناً في كنف كل الحكومات والأحزاب التي مرت على تركيا، لكن هذا يشق على شاعرٍ عرف مصيره منذ البداية إذ قال:" إذا كنت تؤمن بالوطن، بالعالم، وبالإنسان.. فسيقودون خطاك الى المشنقة أو سيلقون بك في الزنازين".

ولم يكترث الشاعر التشيلي بابلو نيرودا بتاريخ النفي والموت للشعراء الرافضين، وإنما اختلط دم السابقين بمداده فكتب عشرين قصيدة حب، وأغنية يائسة، وأثار حنق الجنرال بونشيه الذي أسقط حكومة الرئيس التشيلي سيلفادورا الليندي_المنتخبة ديمقراطياً_، فكاد أن ينال نفس مصير لوركا من قبل جنود بونشيه لولا ظنهم أن ما أرسلوا من أجله إلى منزل نيرودا هو بندقية حقيقية، وليس قصيدة.

لذا يصدق قول الشاعر السوداني محمد الفيتوري:"الشعراء لا يموتون وإن ماتوا، والشعراء أكثر الناس خلوداً"

كما يصدق الشاعر الفرنسي رينيه شار إذ قال: عند انهيار الدلائل والبراهين يجيب الشاعر بومضةٍ من المستقبل، ويصدق من يأخذ بظاهر الآية القرآنية الكريمة، إذا لم يتحول خياله إلى وردةٍ من نار بعد أن يقرأ محمود درويش وسميح القاسم أو يوسف الخطيب، وإذا لم يبحر بكل قواميس الحب بعد قراءة نزار قباني، أو لم يعشق تفاصيل دمشق بعد قراءتها في قصائد سعيد عقل، وأخيراً إذا لم يدخل أعماقه بعد أن يسمع قصائد ميشيل طراد وجوزيف حرب وطلال حيدر بصوت السيدة فيروز، فالعالم حقاً يعلن عن مصيره في أعمال الشعراء.

■ صحفي سوري

سبع رسائل إلى راوية عمران

❖ وسام الخطيب

(1)

كان لابد لي أن أعي الفرق بين صلابتي بعد انحرافات حياتي الحادة وبين هشاشتك الأولى في التشكل، لا أعلم من أين جاء يقيني بأنك قوية مثلي، و أننا سننجو معاً من إرهاق المعاملات البيروقراطية والركض وراء سراب الأوراق ووحشة المسافات الشاسعة في أوروبا، لكنك مجرد جنين، جنين هش ومن حقه أن يأخذ وقته ليصير صلباً، سامحيني فإقناع النفس ببعد أسطوري داخلها، أو إيمانها بأنها أقوى من الظروف هو طوق نجاتها حسب لا وعيها الباطن، لا شيء مميز في الحقيقة يا راوية، أنا أعرف هذا، هي الأسوار التي بنيتها لصورتي عن نفسي وتعليقي تميمة "حمالة الأسية" في عنقي الفلسطيني، وهي أشياء لم يتحملها جسدك غير المتكون وروحك الخفيفة، أقصد أنك أكثر واقعية مني وأقل رومانتكية وعندما لم تكن المقدمات التي بنيتك فيها داخل رحمي تؤهل لنتائج ظهورك إلى هذا العالم قررت الرحيل، أنا فخورة بك يا راوية رغم كل هذا الحزن، لا أدوار بطولة وهمية ولا محاولات لتحميل روحك ما لا تحتمل ولا تنازلات مقابل فتات يسمى حياة ولا مثاليات فائضة، أما أن تنالي حقوقك كإنسان بكل المعايير التي وفرتها هذه الألفية وأما لا، أنا أحترم هذه اللا، أنت قفزت على وعي أمك وأعطيتها درساً في الحياة، وأنا أعدك أن أحفظ هذا الدرس ما حييت وأحاول أن أكون أكثر براغماتية وأقل تراجيدية مما أنا عليه الآن.

(2)

عندما أخبرتني الطبيبة إن كنت أريد أن أدفنك قلت لها لا، سامحيني يا راوية لا مقابر عائلة لدينا لا في ألمانيا ولا في السويد أين نحن من مخيم درعا ومخيم النيرب، أين نحن من قريتك تير معلة في ريف حمص، كما أني محملة بعشرات الآلاف من الجثث التي قضت في سنوات الحرب في سورية، أرواحهم معلقة في روحي التي باتت ثقيلة، لكنني أعلم أنني سأدفنهم يوماً حيث ماتوا في سورية طبعاً عندما أشفى، أما أنت فلا أريد دفنك هنا، أعني ما زلت أحلم بالعودة إلى سورية، لا أريد أن يكون قبر ابنتي في ألمانيا، لا أريد أن أدفنك في هذا التراب الغريب، كان من الأهون علي ألا أعرف عن مصيرك شيئاً من أن يصبح لي في هذه البلاد قبر يعنيني لأزوره، من المؤسف هذه المازوخية مع أنفسنا، لا يحظى أطفال سورية بالدفن في الغالب أقصد الذين تفحمت جثثهم بالبراميل المتفجرة وقذائف الهاون، والذين اختفوا وكأنهم ذوبوا بالأسيد، كانت فكرة عادلة وكفى، أو أنني أضعف من أحفر قبراً لك وأبكي عليه...

(3)

عندما جاءت الممرضة وأخبرتني أنك ستدفنين في نيسان في قبر جماعي لكل الأجنة الميتة في المشفى عرفت أن الإنسانية أنقذتك مرة أخرى من مازوخيتي، لن تكونين وحيدة وسيكون معك الكثير من الأصدقاء في مكان يتجاوز عقدي الضيقة عن الهوية والأوطان، مكان أنصفك وأحترمك وساواك بأجنته، وسيحاط قبرك بالورد والشموع والبالونات الملونة لا أعلم إن كنت سأستطيع الحضور لكنني مطمئنة عليك الآن، مطمئنة لأنني رغم قراري الغبي لم أحرمك من خيار أفضل لم أكن أعرفه أصلاً، وهو أنك سترقدين بسلام مع عشرات الأجنة من كل الأعراق والأديان، ها أنت تتجاوزينني مرة أخرى!

(4)

عرفت أنه يحق لي أن أطلق عليك اسماً واستلمت أوراقاً ترشدني لأتم هذه المهمة وأنا قررت أن أسميك راوية لم أجد أحداً من عائلتنا موافقاً على هذا الاسم، كان الحل الوحيد لتحظي به أن ترحلي! ربما هو قديم الطراز حقا لكنني أنا نفسي قديمة وما زلت أعشق مسلسلاً كرتونياً يحمل اسمك كما أنني أحب الروايات ورغم أنني صامتة إلا أن عقلي ثرثار ويحب الحكاية، وافترضت طبعاً أنك مثلي تحبين أن تروي، شهرزادي الصغيرة كنت للمفارقة ستصبحين من برج الجوزاء وهو أكثر الأبراج ثرثرة على الإطلاق، كنت أعلم أن رسالتي في النقد الروائي التي لم تكتمل ستكتمل معنويا على الأقل بوجودك. أرى الاسم يليق بك حقاً، وإن وصلتك رسائلي بطريقة ما، لن تحتاجي لسؤالي لماذا سميتي راوية؟

(5)

لماذا حدث ما حدث؟، الأمومة مقدسة فعلاً، أعني هذه القدرة العجيبة في الخلق، ربما الشريرات لا يصبحن أمهات، المقام طاهر فعلاً وأبيض مثل مهد ونظيف ونقي وأنا شريرة يا راوية، ولدي أفكار غريبة، الحرب شوهتني كثيراً حتى تحولت لمسخ وأخلاقياتي تشظت هنا وهناك، الشريرات لا يصبحن أمهات، لقد أصبحت بشعة، كما أنني كذبت كثيراً خصوصاً أنني كاتبة! وناورت عندما كانت الأخلاق أقوى من استطاعتي، كان علي أن أخسرك يا راوية كي أدفع الفاتورة المترتبة علي تجاه الحياة، وكانت الفاتورة أقسى مما تخيلت.

(6)

لماذا تيقنت من أنك بنت... إنها الخرافة يا راوية، العادة والتقليد وتراثنا المدقوق مثل وشم في لا وعينا الجمعي وأنا اشتهيت الطعام الحلو وأحسست أنني ازدت جمالاً، لذلك رأيت بنتاً، هناك من يقول لك أنا أؤمن بالعلم، هؤلاء بشر قساة يا راوية، أنا أؤمن بما أحب ولقد أحببت دائما أن يكون لي" بنت تلون بالأحمر حياتي الشاحبة!"

(7)

أحبك.

■ كاتبة فلسطينية

من رماد

❖ منال حمدي

تسبّحُ بأسماء توالت على قلب مشوَّش
تكاثرتْ فوقه مساكن عامرة بمجانين.
مختلٌّ إحساسي بين ضلوعي مرتبكة
أظافري التي مزقتُها بأسناني
ربما أستطيع ابتلاع قصاصات ورق رتبتُها
ذات مساء بأناقة ووشّحتُها بحروف اسمك.
فأنسى أنين الدمية التي بعثرتُ شعرَها
المحنّط داخلي، ثم أقفُ على حافّة حلم
مبتلٍّ بما تبقى من أنفاسك، يختبئ في
حلمي عصفورٌ جائعٌ وضالّ ينام فوق
حائط أمامي !
أراه ولا أراه، ويراني ولا أراه !
ثم أحمل فرحي إليك في حقيبتي الصغيرة،
تلك التي كنتُ أضمُّها على وجعي، ثم أنتعلُ
حذائي بكعبه العالي لأقطع المسافات
إليك.
أتعثر أحيانًا، أقع أحيانًا كثيرة، ثم أضحك
وأبكي، وأنا أحلم بزهر يكبرُ تحت شجر
العمر، لألتقيك..
أنتظرتك...
السنوات توالت وما زلتُ أوقظ داخلي
بملامحك وجه أبي!
علّ انتظارك لا يغرقني بأنفاسه من جديد.
أغسل شفتيه من بقايا حديث ذبحته
الشمس.
أغسل شعره المسترسل شلالًا من حبرك
المتجمّد في قصاصات ورق قديم. ألبسه
معطفك المعطّرُ في خزانتي. أعيد له
ساعتك التي أخذها الوقت.
وأنزل إلى قدميه، أساعده في انتعال
الحذاء. ثم لا أعطيه خاتم الزواج. أبقي
عليه في جيبي المثقوب، كأنه وجعي.
يذهب هو، وأبقى أنا..
أمشي كثيرًا حتى أنتبه إلى الرمال وقد
انسربت من جبيني. لا خاتمًا في جيبي ولا
حتى رمال!
ثم أراك كالسراب على مسافة مني! تعيد له
عطر الشفاه، ومعطفه الوحيد، وساعته
المحنطة من جديدٍ، لأرى خلفك حائطًا من
رمااااااااااد..!

■ روائية وقاصة أردنية

يوميات حرب طائفية أهلية بمحلية (36)

❖ آنا عكّاش

أطل من النافذة.. على الأرض الترابية تحتي سمكة صغيرة تتقلّب مثيرة غيمة صغيرة جداً من الغبار، لا أستطيع إبعاد عيني عن السمكة إلا لثوان لأنظر إلى أعلى لأتأكد إن سقطت من السماء.

يقترب منها طفل في العاشرة تقريباً وينظر، بات تقلّبها أكثر بطئاً وأقل حيوية، نراقبها كلانا، هو من مكانه وأنا من الأعلى، إلى أن تتوقف عن الحركة تماماً.

يحملها بكلتا يديه ويحاول هزّها علّها تعود لتتقلّب من جديد، لكنها لا تفعل فيقلّبها من راحة كف إلى أخرى ثم يذهب ليضعها قرب الجدار كي لا يدوسها أحد، كقطعة خبز يابسة، ويروح بينما أبقى أنا واقفة عند النافذة انتظرها كي تتقلّب لكنها لا تفعل.

لحظات ويعود ومعه صبي في السابعة تقريباً ويريه مكان السمكة، يعود لحملها وقد التصق التراب بجانبيها ويعطيها للصغير:

–أمسيك.. لا تخاف.. ماتت..

لكنه يخبئ كفّيه خلف ظهره ويهز برأسه رافضاً.

*****

أخرج من المدخل فأجده مسدوداً بسيارة دوشكا مفيّمة، سوداء ومن دون نمرة، لا بد أنها لأحد جيراننا فليست المرة الأولى التي أراها مصفوفة هنا. اتلفظ بمسبّة بذيئة في نفسي، ليس لأنها سيارة دوشكا، بل لأنها تسد الطريق.

بعد المسبة اتكل على الله وأفوّض أمري له، أسير وأنا أفكر بأن سوريا "الله حاميها" وبحكمته، مستعيدة سنوات عمري واختباراته علي أنا وعلينا نحن السوريين.. من أين لنا كل هذا الصبر، من أين تأتينا القدرة على الاستيقاظ صباحاً كل يوم لنتمم عبثية الأمس والغد والذي بعده، وفوقها ما زلنا نمتلك بعض الأمل، ذلك الضوء في نهاية نفق لا نهاية له، كلما اقتربنا ازداد بعداً فعددنا خطواتنا إليه من جديد.

*****

اتجادل مع شوفير التكسي الذي أصر على أخذ طلب آخر من الطريق واتهمه بأنه حوّل سيارته إلى سيرفيس يعمل على خط جرمانا المزة، الصراحة لم انزعج فعلياً من المرأتين السمينتين اللتين ركبتا حتى جسر الفحامة، ما أزعجني هي الخطبة الدينية التي كان يستمع إليها والتي تتحدث عن عذاب القبر وعن أن المرأة في الموت قد تغضب الله ببكائها الميت وعدم تقبّلها لقضائه، ألا يكفينا ما فينا لنستمع إلى خصوصيات الموت وهو الذي يعانقنا على الدوام عناقاً أكثر صدقاً من يدي الحبيب؟

*****

في مشفى يافا يجتمع الأطباء في الممر لاستشارة طبية لأحد المرضى بينما أراقبهم من غرفة الاستعلامات وأنا أدخن سيجارتي، كل من في المشفى يدخنون، الموظفون والأطباء وحتى المرضى.

باب غرفة العمليات مقابلي يخرج منه صبي صغير على نقالة يجرها ممرض وعلى الجدار الآخر عُلّقت لوحة نحاسية مكتوب عليها بما معناه أن هذا المشفى "صديق للطفولة".. أفكر بالعبارة دون أن أتمكن من إيجاد الرابط فتدخل طفلة صغيرة تعلّق حقيبتها المدرسية الوردية على ظهرها إلى الغرفة لتتحدث مع أمها موظفة الاستعلامات فلا أفهم ما الذي يجري بينهما، الأم تصرخ وتصرخ وتصرخ ثم تطرد الحقيبة الوردية المتقافزة خارج المشفى قائلة في أثرها:

– يللا بسرعة.. يحرق يهودك..

ثم تلتفت نحوي لتخبرني بأن الصغيرة لا تطيق المدرسة ولا كتابة الوظائف، وهي عاجزة تماماً حيالها وأنا أهزّ برأسي وأتخيل اليهود وهم يحترقون.

*****

يلتقط لي مأمون صورة عند حديقة القشلة خلفي الصليب الذي نصبوه ليذكرنا بمذابح الأرمن التي مر عليها أكثر من مئة عام، ولكننا كوننا فسيفسيئات صغيرة ضمن مجتمع "فوسيفوسيائي" قررنا أن نعلن تذكرنا لها "الآن" لأننا نمر بمرحلة "تعايش أديان" و"تعايش مكونات" و"شعوب سورية" وما إلى ذلك.. المهم بطريقة سلمية.

قربي تم ارتجال نصب آخر من صناديق كرتونية مغطاة بالشيفون شُنق عليها سنفور مسكين لا أعرف ما كانت تهمته، فوق السنفور علق علمنا وزينت أعلى هذا النصب ثلاث تنكات زرع مغطاة بالقصدير لتكسبها بعض الجمالية، من خطر له هذا الصرح المبتكر؟ إلى ما يرمز؟ لا أعرف أيضاً.. لكن صدق من قال أننا نعيش في عصفورية أسمها دمشق.

وفي الشارع الضيق المؤدي إلى الساحة، جلس قرب أحد المطاعم عجوز وأمامه غطاء علبة كرتوني فيه دفتر عائلة وصورة صبي صغير ذو عينين زرقاوين على خلفية من الورود والشلالات التي يحبها أصحاب استوديوهات التصوير، يأكل من صحن معدني البيض المخلوط بشيء آخر لم أميزه، تصدق أحدهم به عليه.

أنا؟ بماذا كنت أفكر؟

كنت أفكر بحكاية الصبي ذو العينين الزرقاوين.

9/11/2017

▪ كاتبة ومخرجة سورية

ستائر النسيان

❖ منال حمدي

الأرض رطبة. ألمسُها، فتنزّ من بين أصابعي خطوات عشقي؛ إذ أنها ما زالت تترك أثرًا عليها. فأترك ملحي في بحر ميت ثم أمضي، كما أنت تترك أصابعك الملحيّة في عينيّ ولا تمضي..! تصنعُ منها أصباغ الخريف. فصل مناسب لتصنيع كلماتك المتساقطة أسفل مقاعدنا بقليل، ثم توزعها على مواقيت مختلفة لترسلها لي رسائل عشق متلّفة .

ومناسبة للقرميد المطلّ على موت بلونه الكالح.

ومناسبة لحصاد رماد أوراق احترقت وتوارت عن دموع قبل انطفاء البارود الذي أحرقت به شفتيك التي فاح منها الفراق ثم لا تعود. تحمل قدميك المتعثّرة بما تبقى مني تحت إبطيك وتركض حتى تصل نقطة تنهي بها خرافة صدّقتُها. ثم تلوذ هاربًا خلف الشبابيك التي تتقمّص لون ستائر حمقاء. فلا تسمع صوت التصفيق الذي حين يعلو يصمُّ أذنيك بعدما تسابقت فسبقت وغلبتَ. ومناسب أيضا لتأكل أصابعك المسقّاة من نبيذ ذكريات مهاجرة لن أكون فيها ذات يوم، ولن تكون !..

ما زلتُ أتذكر تلك الألوان الحجرية التي صبغتَ بها وجهي بعدما مزّقت تاريخًا من بدايات العشق فتكسّرتْ ملامحي التي أصبحتْ من زجاج تراشقَ فوقه الندم . ها أنت تبتلع أصابعك التي أضرمتَ بها النار فاشتعلتْ يداك التي أفلتت يديّ قبل أن تمضي. أتذكر لأذكرك قبل أن تنسى. ربما تستطيع أن تنسى..! كيف لا؛ وتحتك خطواتك التي جفّت، وتشقّقت كثير من الجِمم التي انفجرت. أثر الضجيج أيها الغريب ما زال متروكًا هناك، على ناصية الذكريات والموت....

▪ روائية وقاصة أردنية

« كأنو مسرح » هل تعود الحياة إلى المسرح السوري ؟

كان الجمهور السوري الأسبوع الفائت على موعد مع العرض المسرحي «كأنو مسرح»، على خشبة مسرح الحمرا في العاصمة دمشق.

وشهد العمل المسرحي الذي كتبته لوتس غسان مسعود وأنتجته وزارة الثقافة السورية عودة الفنان العالمي غسان مسعود إلى المسرح كمخرج للعمل الذي حاكى الحرب السورية وتداعياتها وانقسام المجتمع السوري حيال تلك الحرب والأزمة المستمرة منذ سنوات.

يحكي العمل المسرحي قصة حب تعيشها مديرة فرقة مسرحية مع عازف بيانو ، حيث يتدرب الممثلون على عمل مسرحي وينقسمون إزاء الأحداث الجارية مستعرضين مآسي الحرب وخيبات الأمل والانكسارات التي رافقتها.

ليس عمل «كأنو مسرح» هو العمل الأول الذي يُنتج ويُعرض في سورية خلال هذه الأزمة ويناقش تداعياتها، إلا أن إخراج العمل الذي حمل توقيع الفنان غسان مسعود أعطى العمل قيمة إضافية وكبيرة ودفع الجمهور للإقبال على المسرح لحضور العمل، ومما لا شك فيه إن عودة مسعود إلى المسرح . في حال كانت دائمة . ستسهم حتماً في إعادة الحياة إلى المسرح السوري الذي يعاني من أزمة حادة وحالة موت سريري منذ سنوات طويلة.

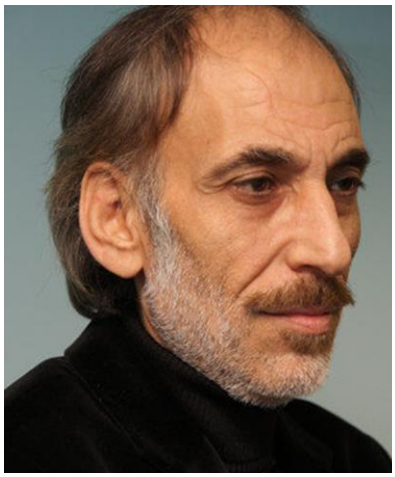

بطاقة العمل :

إخراج: الفنان العالمي غسان مسعود

النص: لوتس غسان مسعود

تمثيل الفنانين محمود نصر، ديمة قندلفت، ناظلي الرواس، أيمن عبد السلام، روبين عيسى، لجين اسماعيل، مصطفى المصطفى، غسان عزب، راما عيسى. موسيقى: طاهر ماملي، إشراف تقني: يزن طعان، تصميم ديكور: هاني جبور،تنفيذ الديكور: محمد مصطفى وحسان حيدر، مساعد مخرج: عروة العربي، تصميم أزياء: ديمة فياض، تصميم إضاءة: بسام حميدي،

لوحة البوستر للفنان السوري نذير نبعة

«كلام كبير».. السخافة بوصفها كوميديا ساخرة "يا عيبو"

❖ ف. هـ

فار السوريون "افتراضياً" بعد عرض أولى حلقات برنامج «كلام كبير» على القناة الفضائية السورية، إلا أن فورتهم لم تجدِ نفعاً، لأن أي ردة للفعل للمواطنين تجاه أي قرارات أو تصريحات أو برامج تُفرض عليهم ليست تعني شيئاً للقائمين على المكنة الإعلامية في سورية.

تناولت أغلب الصحف والمواقع السورية والعربية البرنامج إلا أن مقدمه عماد جندلي اعتبر ذلك النقد "دعاية مجانية لبرنامجه"، واصفاً منتقديه بـ"أعداء النجاح"، وقد صارت هذه الجملة "أسطوانة مشروخة" يرددها أي شخص يتعرض للنقد في سورية.

ووفق المثل القائل: "السارق من السارق كالوارث من أبيه"، رد جندلي على إتهامه بتقليد برنامج "هيدا حكي" اللبناني الذي يقدمه عادل كرم بكل تفاصيله، "إن هذه البرامج ليست إبداع القنوات اللبنانية إنما هي في أصلها أمريكية".

ليست فكرة البرنامج وديكوره وفقراته فقط هي المستوحاة من برنامج لبناني، إنما الاسم أيضاً، "كلام كبير" هو اسم برنامج مصري انطلق في شباط 2017 يقدمه الإعلامي محمد ناصر ويناقش فيه قضايا سياسية واجتماعية بمشاركة بعض الضيوف وجمهور من الشباب في الاستديو.

وبما أنه "عند جرن الحمام تبان القرعة من أم الشعر"، لم نأخذ بتعليقات المتابعين الفيسبوكيين، وتابعنا بعض حلقات البرنامج الجديد الذي يرى فيه القائمون عليه "فتحاً جديداً في «خشبية» برامج القنوات الرسمية السورية"، بدا من الواضح أن جندلي يعتمد حتى اللحظة على بعض معارفه وعلاقاته إضافة إلى تعليقات الفيسبوكيين لصناعة حلقة متكاملة ليس بوسع أحد متابعتها إلى آخرها لـ"ثقل دمها، وسخافتها".

إن أي مشاهد للبرنامج الجديد سيتبادر إلى ذهنه على الفور برنامج "هيدا حكي" وسيقارن بشكل تلقائي بين البرنامجين، وحتماً سترجح الكفة للبرنامج اللبناني لأن خفة الدم فيه ليست مصطنعة، وجاءت شخصية عادل كرم وفريق البرنامج لتكون ملائمة للمواضيع التي يتم طرحها والكوميديا خفيفة الظل على المشاهدين حيث بوسعهم أن يتابعوا الحلقة إلى نهايتها دون أن يشعروا بالملل أو يغيروا المحطة قبل انتهاء فقرات البرنامج كما أفاد أغلب متابعي البرنامج السوري.

مُعد البرنامج أدونيس شدود شريك جندلي في البرنامج الجديد، كان يعمل سابقاً في قناة "سما" السورية، وأعد برنامج "لو فرضنا جدلاً" على قناة "سما" والذي كان يستوقف المارة في الطريق ليسألهم أسئلة مثل، "الأمم المتحدة قررت تسليم ملف الكيماوي السوري للمحقق كونان، ما رأيك؟" أو "هل ستساعد زيارة المجاهد عمر المختار لسورية في تشكيل الحكومة السورية؟"، ويرصد ردة فعل المواطنين العفوية المُثقلة بكل تعب سنوات الحرب والهموم اليومية للإنسان السوري، ولم يحقق البرنامج مشاهدات كبيرة وشهد الكثير من الانتقادات لاستخفافه بردود فعل المواطنين العفوية تجاه هذه الأسئلة، التي وصفها أغلب المتابعين بـ"السخيفة".

تعرض برنامج "لو فرضنا جدلاً" للكثير من الانتقادات، ودافع عنه معده ومقدمه شدود بالقول أيضاً: "إن هذا النوع من البرامج يلقى رواجاً في الولايات المتحدة الأمريكية". رغم الفشل الذي حققه البرنامج بعد مواسم من عرضه إلا أن معده وجد ضالته في الفضائية السورية لينتقل إليها ناقلاً فشله معه، وإعادة تدوير الفشل ليس غريباً في سورية، وليس برنامج "كلام كبير" إلا أحد هذه النماذج.

والسؤال الذي يطرح نفسه، أليس لدى الشباب السوري أفكاراً مُبتكرة تحترم ذائقة المواطن ووعيه بدلاً من البرامج المُقلدة التي تستخف بعقول المشاهدين رغم أن وعيهم تخطى وعي القائمين عليها بأشواط؟

كان من الممكن لهذا البرنامج أن يشكل نقلة في حياة المواطن السوري أو الترفيه عنه لو أنه عُرض قبل عقدين من الزمن حين لم يكن لدى المواطن أي قنوات أخرى يتابعها، أما اليوم فليس من الممكن إقناع الجمهور بتهريج مصطنع عن طريق برامج استُهلكت في الغرب منذ عقود طويلة وتقديمها على أنها وجبة كوميدية تلامس هموم المواطن.

ولن تنفع هنا عبارة "أن تأتي متأخراً خير من أن لا تأتي أبداً" وقد صار لدى الجمهور خيارات كثيرة تتيح له أن التعبير عن معاناته وهمومه والتفاعل معها.

■ صحفي سوري

"يا عيبو!"

حسب تصريحات له هدد مقدم البرنامج وتوعد كل من ينتقد برنامجه ويتهكم عليه بمقاضاته أمام المحاكم الرسمية، فهو فقط من يحق له انتقاد الآخرين والتهكم عليهم عبر برنامجه !

تدفع القنوات والبرامج للشباب الذين يحضرون في الاستديو عن كل حلقة يشاركون فيها كمصفقين حين يستشعرون أن المقدم يحاول ابتكار نكتة على المسرح !

فهل يدفع كلام كبير للشباب أم أنهم يصفقون ويضحكون "سخرة"؟

الدكتور الأديب عبد السلام العجيلي وقصر ابن وردان

❖ محمد العزو

في صيف عام(1999م)، كنت أنا أمين متحف الرقة الأثري، وموظفو المتحف وهم نورس محمد، ومحمد العبو، وعلي البكار وغيرهم، جالسين في المتحف وكان اليوم يوم جمعة لأن عطلة متاحف الدرجتين الأولى والثانية يوم الثلاثاء من كل اسبوع ، دخل علينا أحد الحراس مهرولاً وقال: الدكتور العجيلي قادم من مكتبة الخابور لزيارة المتحف..وعلى التو استقبلناه "رحمه الله" عند مدخل المتحف، وبعد الترحيب والسلام بادر قائلاً: بالأول ماذا لديكم من مكتشف جديد؟ قلت له دكتور هنا على اليمين غرفة عرض حديده، عرضنا فيها أهم مكتشفات تل المباقة الجديدة..سأل رحمه الله وأين يقع هذا التل؟ قلت له: علي الضفة اليمنى لبحيرة السد قبالة جبل عرودة هز رأسة دلالة على معرفته الجيدة بجغرافية المنطقة، ثم رأى العرض الجديد، وهو عبارة عن مجسم منحوت بشكل بارز يمثل إمرأة تمسك نهديها بكفيها ترمز لألهة الخصب، وكذلك مجموعة من خرز العقيق والمرجان واللازورد وخرز زجاجي، وكتلة كبيرة من البرونز لمجموعة برونزية تمثل أشكالاً من الفنون التطبيقية، وفي مقدمتها "بايب" بالحجم الطبيعي وبديع الصنعة، ودون أي أنتظار وكعادته الباسمة المرحة قال: ولهذا كلكم تدخنون..تبسم الجميع، ثم قال لي والأن ما هي المعلومات التي لديكم عن قصر ابن وردان، جلسنا في المكتب ثم شرحت وقلت قصر ابن وردان يقع إلى الشرق من حماة بن بلدة السعن وموقع مدينة الأندرين الأثرية، وهو عبارة عن قصر كبير، يعتبر من أهم المعالم المعمارية، لما يتمتع به من اسلوب معماري بديع وفريد من نوعه، شيده مهندس معمار اسمه"يزيدور"من مادة الحجر المختلط بالآجر الأحمر، ويعود تاريخ القصر إلى عام(565- 527 م)، وجدران القصر، وفجأة وبطريقة سلسلة لا يتقنها إلا النهاء وذوي

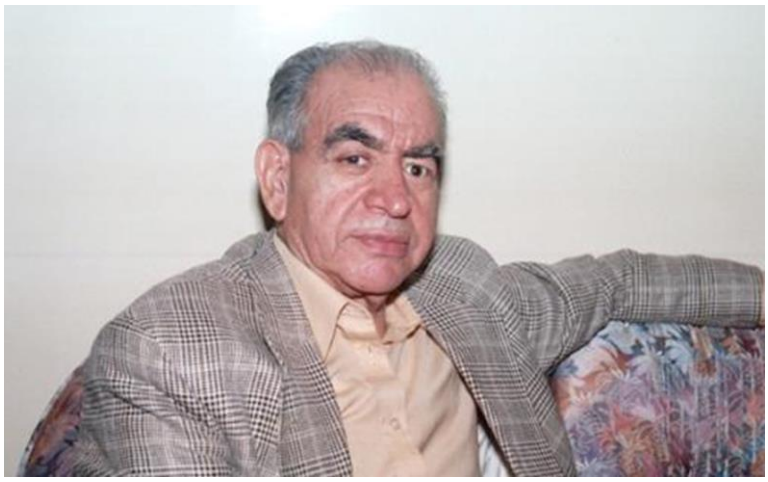

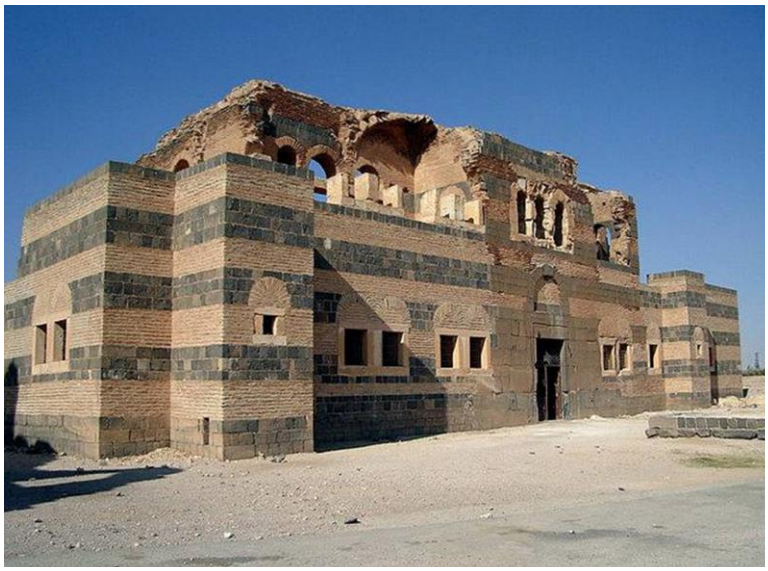

المقدرة الرفيعة، استلم الحدبث وأكمل وجدرانه بنبت من الطين الممزوج بماء الورد فكلما هطل المطر أو رش الماء على جدرانه، اتبعثت منه روائح الورد العطرة..ثم استطرد قائلاً : والسؤال الأن لماذا سمي بقصر ابن وردان؟ قلت: نسبة إلى شخص من بدو قبيلة عنزة كبير في قومه، هاجر من نجد إلى سورية منذ(300) سنة فسكن القصر الأثري واطلق عليه قصر ابن وردان، قال وهو يبتسم بسمة العلماء: ارجع إلى المصادر القديمة، مثل الطبري أو القلقشندي لعلك تجد ما يفيدك بهذا الخصوص، عند هذا الحد قلت لنفسي الدكتور يعرف كل شئ عن هذه الأبدة التاربخية ويعرف معرفة أكيدة لماذا سمي بقصر ابن وردان؟ بعد هذه الزيارة الميمونة من قبل النبع الذي سقي الرقة منه وبالعودة إلى كتاب القلقشندي "أخبار الجزيرة" وجدنا أنه في القرن السادس م كان في مدينة الأندرين ابن ملك بيزنطة وإسمه "بن وردان"، ولا شك إن سبب التسمية ربما تعود إلى القرن السادس الميلادي..وفي زيارة إلى الدكتور عفيف بهنسي في بيته، بمعية البرفسور "مك واير جبسون"مدير معهد آثار الشرق القديم في"شيكاغو" أخبرته بهذه المعلومة، فسألني عن المصدر فقلت له عند القلقشندي، وأرشدنا على ذلك الدكتور العجيلي، فقام واحنى رأسه تحية إكبار وإجلال..العجيلي زهرة الفرات وابن بار لبلده ولأهله، خلقه الرب مبتسماً ونادراً ما تراه غير مبتسماً، الرقة الحزينة اليوم عرفت ثلاث ينابيع أروت البلاد والعباد هشام بن عبد الملك وهارون الرشيد في العصر الإسلامي، وعبد السلام العجيلي في القرن العشرين رحمه الله وطيب ثراه.

■ باحث آثار سوري